شعر السياسة في الخليج: محمد الفيتوري والحرب الإيرانيّة العراقيّة

محمد ساليسو[١]

الملخص

يعد الشاعر محمد الفيتوري من الشعراء العرب الحديثين القلائل الذين حظيت أعمالهم باهتمام أكاديمي كبير. ومع ذلك، فقد كان الاهتمام منصبا على أعماله التي تناولت العبوديّة والاستعمار في إفريقيا. وبالتالي، لم تحظ أعماله الشعريّة السياسة في الخليج العربي بالاهتمام الأكاديمي المطلوب. وتأتي هذه الورقة لملء الفراغ من خلال إشراك العمل الشعري السياسي للفيتوري: "يأتي العاشقون إليك"، وهو القصائد تركّز على الحرب العراقيّة الإيرانيّة. فإن هيكل العلاقات غير المتماثلة بين إيران والعراق له صلة بالتفوّق العرقي والنفوذ الإقليمي وهو الشر الذي أراد الفيتوري استخدامه في "يأتي العاشقون إليك". ونظرا لموقعه في الجغرافيا السياسيّة المضادة للهيمنة الإقليميّة، يكشف شعر الفيتوري عن السياسة الكامنة في الخليج العربي ومحاولة إيران السيطرة على المنطقة. وتكشف الورقة عن دعم الشاعر الثابت لصدام حسين والقوات المسلّحة العراقيّة.

الكلمات المفتاحيّة: الفيتوري، الحرب الإيرانيّة العراقيّة، الخليج، الشعر، العرب.

Abstract

Muhammad al-Faytūri is among the few modern Arabic poets whose works have received considerable academic attention. Nonetheless, the attention has focused on his works on slavery and colonization in Africa. Thus, his poetical works on politics in the Arab Gulf have not received the needed academic attention. This article fills the vacuum by engaging al-Faytūri's *Ya'tī al-'Āshiqūna Ilaiki*, a poetical work that focuses on the Iran-Iraq War. The asymmetric construction of relations between Iran and Iraq relative to racial superiority and regional influence is the furrow that al-Faytūri elects to plough in *Ya'tī al-'Āshiqūna Ilaiki*. Situated within the geo-politics of regional counter-hegemony, al-Faytūri's poetry unveils the politics inherent in the Arab Gulf and the attempt by Iran to dominate the region. The article reveals the poet's unflinching support for Saddam Hussein and the Iraqi armed forces.

Keywords: al-Faytūri, Iran-Iraq war, gulf, poem, Arabs

[1]. Mohammed Salisu is a PhD Candidate, Center for Gulf Studies, College of Arts and Sciences, Qatar University, P. O. Box 2713, Doha, Qatar. E-mail: sm1704933@student.qu.edu.qa

المقدمة

تعتبر الجمهورية الإسلاميّة الإيرانيّة من الدول القويّة في الشرق الأوسط لما لديها من تعداد سكاني كبير وموقع جغرافي استراتيجي وموارد طبيعيّة هائلة جعلها الأقوى في منطقة الخليج. ومع ذلك، فإن العلاقات مع جيرانها في المنطقة تسير في طريق التعاون من جهة والصراع من جهة أخرى خاصة بعد نجاح الثورة الإسلامية. يحدّ إيران خليج عمان والخليج الفارسي في الجنوب، حيث يمتد ساحلها البحري إلى ٢٠٤٣ كيلومترا. كما يحدّها العراق من الجنوب بحدود تمتد لمسافة ١٤٥٨ كيلومترًا، من شواطئ العرب إلى الحدود الثلاثيّة مع تركيا عند كوه الدالانبر. ومن خلال هذه المياه، ترتبط إيران بالكويت والسعودية والبحرين وقطر والإمارات العربيّة المتحدة وسلطنة عمان.[1]

إن هذا القرب الجغرافي ما يسبّب الاحتكاكات بين إيران والعراق حيث تشعر كل منهما بعدم الأمان تجاه أخرى. ويوضّح انعدام الأمن بين الدولتين المتشاطئتين شيئًا مُهمّا، ألا وهو عندما يتعلق الأمر بالجغرافيا السياسية الإقليميّة، كانت إيران والعراق تخوضان حرباً باردة افتراضية خاصّة بعد الثورة الإسلاميّة. لقد اتخذ كل منهما خطوات لتعزيز نفوذها في الدول المجاورة ولتقليل قوة الآخر في الوقت نفسه. وقد تجلّى تنافسهما عند حدوث نزاعات داخليّة في الدول المجاورة حيث سعتْ كل منهما لتقوية نفوذها في منطقة الخليج. وهكذا، عندما اندلعت الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠، اعتبرت غالبيّة الدول العربيّة الحرب فرصة لسحْق إيران وإضعاف نفوذها المتنامي قدر الإمكان في أقصر وقت ممكن.

وبيّنت الحرب التي استمرت ثمان سنوات صراعا كان معروفا بين المحللين ب "الكفاح من أجل الهيمنة والنفوذ"، وكانت دولتا الخليج المتجاورتان تهدُمان أسس هياكلهما الاجتماعيّة والاقتصاديّة. ولم تؤدِ الحرب إلى خسائر اقتصاديّة للبلدين فحسْب، بل إنها وجّهت ضربة قاسية للنسيج والهياكل الاجتماعيّة في الدولتين وقدّم مجلس التعاون الخليجي الذي تأسس إبّان اندلا ع الحرب دعما ماليا ولوجستيا للقوات العراقيّة (Rubin, 1989:122) Nonneman, 2004:173-174) ودعمت النخب العربيّة العراق من خلال التأثير على الرأي العام ضد الحكومة الإيرانيّة وشعبها وخلق مشاعر مُعادية لإيران في المدن العربيّة (Bengio, 1998:141 -143). ولفتت المحن السياسيّة انتباه الكثير من الشعراء العرب الذين عزّزوا قوّة الروح المعنوية للقوات المسلّحة العراقيّة بإيقاعاتهم وأشعارهم الرنانة. وتابع الفيتوريي الذي كان يعيش آنذاك في القاهرة الحرب باهتمام شديد، "ولم يشأ إلاّ أن يخوض في القضيّة ليدلي برأيه الخاص كما كان يفعله ملايين النّاس".[2]

[1]. Downs, Kevin. (2012). A Theoretical Analysis of the Saudi – Iranian Rivalry in Bahrain. Journal of Politics & International Studies, Vol. 8, p.211

[2]. Bowra, Maurice C. (1966). Poetry and Politics: 1900-1960. Cambridge: Cambridge University Press, p.1

ولبعض الأسباب الواضحة، لم يحظ مسار الأعمال الشعريّة للفيتوري وعلاقتها بالسياسة في منطقة الخليج بالاهتمام الأكاديمي. وبدلاً من ذلك، ركّزت جميع الأعمال الأكاديميّة التي تناولت الشاعر على دواوينه الخاصّة بالرق والاستعمار في إفريقيا. وقد يكون السبب وراء ذلك الطبيعة الحسّاسة لموضوع العُبودية والاستعمار. وقد عرض الشاعر القضايا تلك في أعماله الشعريّة ومنها: "الأغاني الإفريقيّة"، و"عاشق من إفريقيّة"، و"اذكريني يا إفريقيّة"، و"أحزان إفريقيّة"، ومسرحيّته الشعريّة، "سولارا". لم يكن النهج اللاذع والدقيق الذي تبنّاه في هذه الأعمال عرضيًا، ولكن كنتيجة لبعض العوامل الرئيسيّة والثّانويّة. ففي المقام الأول، كان الفيتوري على دراية تامّة بمحنة جدّته كعبدة لرجل إماراتي والذي حملت منه فيما بعد فأنجبت له والدة الفيتوري. ثانياً، كشخص ذي بشرة داكنة ذات مكانة صغيرة، تعرّض الفيتوري لعُنصرية هائلة داخل المجتمع المصري حيث نشأ وترعرع وحصل على شهادتيْ البكالوريوس والماجستير من جامعة الأزهر وجامعة القاهرة على التوالي. أجّج هذا الموقف المرارة في قلبه وأدّى ذلك إلى تفاقُم مشاعره، وجعله "يشعر بأنه مُضطرّ للشروع في تدقيق صارم للتسلسل الهرمي الاجتماعي الذي يشير فيه اللون الأسود إلى الدُونيّة واللون الأبيض إلى الفوقيّة"[١٠] ومن الواضح أن المواضيع الرئيسية الثلاثة "التي وفّرت بشدّة الدافع للأعمال الشعريّة للفيتوري هي العُبوديّة والاستعمار والنضال ن أجل الاستقلال في [دول] إفريقيا"[٢٠] في قصيدة "أنا زنجي" قدّم الفيتوري نفسه على النحو التالي

أنا زنجي..
وأبي زنجي الجدْ
وأمي زنجية..
أنا أسود
أسود لكني حر أمتلك الحرية
أرضي إفريقية
عاشت أرضي
عاشت إفريقية[٣]

لهذين السببيْن، ركّز الأكاديميّون على الأعمال المذكورة أعلاه للفيتوري على إهمال وتهميش أعماله حول السياسة في الخليج. وتأتي هذه الورقة لملء ذلك الفراغ من خلال دراسة الحرب بين إيران والعراق كما صوّرها محمد الفيتوري في

[1]. Oladosu, Afis A. (2008). Is It Because My Face Is Black? Journal of Arabic Literature, Brill, p.189

[2]. المرجع السابق.

[3]. الفيتوري، محمد. (١٩٥٥). "أنا زنجي"، أغاني إفريقية. الطبعة الأولى، بيروت: دار العودة، ص ٨٠ – ٨١

ديوانه: "يأتي العاشقون إليك" يتناول المقال تحليل الشاعر للحرب ويكشف دعمه الثابت لصدام الحسين والقوات المسلّحة العراقيّة. وقد تم استخدام الأسلوب الوصفي في هذه المقالة بشكل أساسي متبوعا بتحليل توضيحي للمصادر الثانويّة وإسهاماتها في الحرب.

نبذة عن سيرة محمد الفيتوري:

يكمن صعود محمد الفيتوري إلى الشهرة بشكل أساسي في إسهامه المميّز في الشعر العربي الحديث وفي توظيف القضايا السياسيّة للتعبير عن رأيه في أعماله الشعريّة. وُلد الشاعر عام ١٩٣٠[١] في قرية السودانيّة الغربيّة المعروفة ب–الجنينة، حيث عاش حياة تجسد مثالاً حيّا على مدى قدرة المواهب والعزم مصحوبة بحياة محفوفة بالمخاطر، على نقل الفرد من خلفيّة بسيطة إلى عالم الشهرة. وقد ساعدت حياته على إيقاد شُعلته الشعريّة، وأصبح المنفى أحد مصادر إبداعه الأدبي. وعلى الرغم من التحديات العرقيّة التي واجهه في مجتمعات الشرق الأوسط كشخص ذي بشرة داكنة، استمرّ الفيتوري على مرّ السنين في شحذ مشاعره الحادّة التي تتكشّف يوميًا في المنطقة. وربما كان حب الفيتوري العفوي للقضايا السياسيّة الحسّاسة في القارة الأفريقيّة والعالم العربي ما ميّزه عن مُعاصريه الذين ألّفوا الشعر العربي الحديث. على حد تعبير بن عيسى بو حماله:

فلا جدال في أن جميع الشعراء السودانيين المعاصرين ساهموا في تحرير القارة الأفريقية بمهاراتهم الشعريّة، ولكن قد تفوق بعضهم بأدائهم على الآخرين. وإذا أردنا قياس أدائهم فيما يتعلق بأعمالهم الشعريّة، فإن محمد الفيتوري يتفوّق عليهم جميعا.[٢]

وإذا جاز لنا وضْع القضايا السياسية جانباً، ومسيرته المهنيّة الأدبيّة التي كانت بمثابة سيفا ذا حدّين، نجح الفيتوري في وصف الأحداث الدنيوية وكشف مشاعره الأعمق من خلال الكلمات الموضّحة في السياق الأكثر خصوصيّة وصنع صور جديدة رائعة. وتعكس أعماله الشعريّة حياته السياسيّة التي تعاملت مع القضايا المضطربة في الشرق الأوسط والقيم التقليديّة للشعب العربي. عموما، شكّلت قصائده في " يأتي العاشقون إليك" تحريضًا على التمرّد العربي، وهي قصيدة ملحمية تجمع بين تجربته التي تغنّت بالبيئات العربيّة الجميلة، والمستقبل الذي قد يشكّله العرب لأنفسهم للرجوع إلى ماضيهم الملهم. لقد شجبت أعماله شرور الحرب والتوتّرات التي كانت الدول العربيّة فريسة لها وطالبهم بتوحيد

[١]. على الرغم من أن محمد الفيتوري لم يكن متأكدا من تاريخ ميلاده، إلاّ أن الباحثين أجمعوا على أنه قد وُلد عام ١٩٣٠. لمزيد من المعلومات عن سيرة الفيتوري، انظر منيف موسى. (١٩٨٥). محمد الفيتوري: شاعر الحس والوطنيّة والحب. بيروت: دار الفكر اللبناني، ص ٥٢.

[2]. بو حمالة، بن عيسى. (٢٠٠٤). "المقدّمة"، النزعة الزّنجيّة في الشعر السوداني المعاصر: محمد الفيتوري نموذجا. الطبعة الأولى، الرباط: منشورات الكتّاب المغرب، ص ١ – ٢

الصفوف للتخلّص من نير إيران وإسرائيل. كانت قصائده الغنائيّة ذا عبارات مثيرة وتلّقى بصوت عال في جميع أنحاء العالم العربي. وهكذا، بينما احتلّت مواضيع العبوديّة والاستعمار والنضال من أجل الاستقلال دواوينه عن إفريقيا، سيطر موضوعا السلام والأمن على مقطوعاته الشعريّة عن السياسة في الخليج.

الفيتوري والحرب العراقيّة الإيرانيّة

كما هو موضّح في الفقرات أعلاه، تعود التوتّرات بين إيران والعراق إلى عدّة قرون خلت، حيث ربطه بعض المؤرّخين بالفترة التي شنّ فيها الفرس والإمبراطوريات العثمانيّة حربًا متواصلة على بعضهم البعض من أجل السيطرة على العراق. ومع انهيار الإمبراطوريّة العثمانيّة بعد الحرب العالميّة الأولى وقيام دولة العراق الحديثة رسميًا في عام ١٩٢١، اشتعل الجمود بين البلديْن الجارّيْن. ولم يتمكّن الطرفان من الاتفاق على ترسيم الحدود التي ورثاها والسيطرة على شواطئ العرب في حين سعت العراق للحفاظ على الوضع الإقليمي القائم في شواطئ العرب وفقًا للأطروحات الحدوديّة التي ورثتها عن الإمبراطوريّة العثمانيّة، سعت إيران إلى تغيير الوضع الراهن الذي اعتبرته ضارّ بمصلحتها الوطنيّة.[١]

هذا النوع من السلوكيّات الإيرانيّة تُحرّكه نظريات الاحتياجات البشريّة والمصالح الوطنيّة. وهكذا، يمكن أن يكون الصراع القائم بين القوّتين الساحليّتين، ضمن تفسير بورتون (Burton, 1989)، للاحتياجات الإنسانيّة التي يعتبرها احتياجات أساسيّة، والتي يتطلب الأمر توفيرها لكي يُنتج سلوك فردي طبيعي (غير منحرف وغير عنيف). ويشير ذلك إلى أن "مفهوم الاحتياجات الأساسية توفّر طريقة ممكنة لتأسيس مجال تحليل الصراع".[٢] يفترض بيرتون كذلك أنه بالإضافة إلى الاحتياجات البيولوجيّة الواضحة للغذاء والمأوى، "هناك احتياجات إنسانيّة نفسيّة اجتماعيّة أساسيّة مثل الهويّة والأمن والاعتراف والمشاركة والحكم الذاتي، والتي تتعلّق بالنمو والتنمية".[٣] وفي رأيه، يجب توفير هذه الاحتياجات التنمويّة إذا أرادت المجتمعات أن تظلّ خالية من النزاعات. وحيث أن الفرد يستجيب لفرص تحسين نمط حياته، إلا أنه يرفض قبول الحرمان من الاحتياجات الوجوديّة مثل الأمن والكرامة. وإذا لم تتوفّر قوانين تُقيّد السلوك الإنساني، تسود الفوضى والعنف والجنون في المجتمعات الإنسانيّة وسيلجأ البشر لاستخدام أي وسيلة ممكنة للحصول على العديد من احتياجاتهم قدر الإمكان. وإذا استمرت هذه السلوكيّات لفترة طويلة "ستصبح حياة الإنسان منعزلة، بائسة، سيّئة، وحشيّة وقصيرة".[٤] هذا لأنه، كما أوضحه فيوتي وكوبي (Viotti and Kauppi, 1987) بأن سلوكيات الأفراد تمتدّ في

[1]. Rajaee, Farhang. 1993. The Iran-Iraq War: The Politics of Aggression. Florida: University of Florida Press, p.25
[2]. Burton, John. 1989. On the Need for Conflict Prevention. In. Lynch's Lectures on Conflict Resolution. George Mason University Press, p.223
[3]. المرجع السابق
[4]. Stephen, Leslie. 1961. Hobbes' Natural Man: A Study in Ideological Formation. Ann Arbor: University of Michigan Press, p. 17.

حالة الطبيعة الأسطوريّة إلى ما بين الأمم في السياسة الدوليّة. ويؤكّد مورغنثاو (Morgenthau, 1960) هذه الفكرة قائلا "إن أهم الواجبات الأخلاقيّة للدولة القيام ببذل الجهود التي تؤدّي إلى توفير احتياجات مواطنيها".[١] وبالتالي، وبينما يمكن للفرد التضحية بنفسه بدلا من الانخراط في بعض الفجور في محاولة للحصول على احتياجاته، فإنه ليست للدولة الفرصة نفسها بأن تُعيق طريقها بالقضايا الأخلاقيّة للعمل السياسي الناجح" (المرجع السابق). وبينما يحكم الأخلاقيّون الإجراءات وفقا لتوافقها مع القانون الأخلاقيّ يتم الحكم بالإجراءات السياسيّة من خلال عواقبها السياسيّة" (المرجع نفسه).

تفسّر هذه الحاجة التنافسيّة للسلامة والأمن والمجد بين القوّتين الإقليميّتين — إيران والعراق – حالة العداء المستمر بينهما. وهكذا، كانت سياسة المصالح هي جوهر الصراع الإيراني العراقي، وهي تشير إلى قابليّة تطبيق نظريّة الاحتياجات الإنسانيّة. ولذا، يصوغ رجال الدولة البارزين سياساتهم الوطنيّة باهتمامها كمعيار نهائي، وبالتالي لم يتمكن أي من علماء الأخلاق من تحقيق أهدافهم المعلنة. لأنه لا يمكن أن يكون حل وسط في اختيار المبادئ الأخلاقيّة أو المصلحة الوطنية. إذن فيجب على السياسيين البارزين اختيار المعيار النهائي في اتخاذ قرار السياسة الخارجيّة. ولذلك، تتصرف الدول بطريقة عقلانيّة من أجل تحقيق مصالحها ولا تسمح لقضايا الأخلاقيّة بإعاقة تحقيقها. على حسب قول بليشكي (Plischke, 1988) فإن المصلحة الوطنيّة هي "المعايير النهائيّة التي بموجبها تحدّد الدولة غرضها وأهدافها الوطنيّة، وتصف أهدافها الملموسة، وصياغة استراتيجياتها وتكتيكاتها الوطنيّة للحفاظ عليها وتعزيز وضعها ورفاهيّتها في علاقاتها مع الدول الأخرى".[٢] هذه المصلحة الوطنيّة الطموحة لا يمكن تحقيقها إلا باستعمال القوّة. "والقوّة هي ظاهرة قديمة وواحدة من النظريّات القديمة التي يتباهى بها المنظرين الاجتماعيّين".[٣] فصرّح دوجدرتي (Dougherty, 1990) عن الموضوع قائلا، "للقوّة مكوّنات عسكريّة وغير عسكريّة، وتعتمد محتوياتها وكيفيّة تطبيقها على الظروف السياسيّة والاقتصاديّة السائدة".[٤]

انقسم محلّلو الحرب العراقيّة الإيرانيّة حول الأسباب الحقيقيّة على أنها أسباب أيديولوجيّة في الأساس، والآخرون يعزوها إلى التفوّق العرقي. ويأتي غياب الإجماع على تلك الأسباب تأكيدا على تعقيدات الحرب وصعوبة حلها. ومع ذلك، هناك إجماع واسع النطاق بين الباحثين في المنطقة وخارجها على أن الحرب الطويلة الممتدة بين العراق وإيران كانت متجذرة في التعطّش للهيمنة السياسيّة والنفوذ الإقليمي. ويرى تاكيه (Takeyh, 2008) إن عدم وجود علاقات لإيران مع أي دولة أخرى هو بنفس التعقيد الذي تتسم به علاقتها مع العراق. وكان يُفترض دائما إن إيران والعراق

1. Morgenthau, Thomas. 1960. Politics Among Nations. New York: Alfred Knopf, p. 73
2. Plischke, Elmer. (1988). Foreign Relation: Analysis of its Anatomy. New York: Green Wood Press, p.32
3. Dahl, Robert. (1957). The Concept of Power. New Jersey: New Brunswick Publishers, p.18
4. Dougherty, James and Pfatzgraff, Robert L. (1971). Contending Theories of International Relations. New York: Harper Row, p.74.

خصمان طبيعيّان وقدرهما أن يقيما علاقات تتسم بالاحتكاك والتوتّر. وبالنظر إلى الحرب الطويلة التي وقّعت بين الدولتيْن في الثمانينيات ومحاولاتها المستمرة لتأكيد نفوذها في الخليج الفارسي، فإن هذه الرواية لها درجة من التبرير التاريخي .[١]

وكدولة ذات تاريخ غني، فدائما ما اعتبرت إيران نفسها متقدّمة جدا عن جيرانها العراق. لذلك فقد كانت لديها رغبة جامحة في ممارسة هيمنة سياسيّة في منطقة الخليج منذ عدة عقود. فوصل الجمود السياسي إلى ذروته مع وصول آية الله روح الله الخميني وصدام حسين إلى السلطة في عام ١٩٧٩. وبدأت طبول الحرب تدقّ يوميًا واتهم الجانبان الطرف الآخر بالتجسّس. واشتدّ الانقسام السياسي عندما أنشأت إيران نظامًا حكوميّا ثيوقراطيًا [معاديًا للغرب] قائمًا على مفهوم ولاية الفقيه (أي وصاية الفقيه المتعلم).[٢] ومنذ ذلك الحين، كانت عقيدة الجمهوريّة الإسلاميّة [الإيرانيّة] تصدير ثورتنا إلى العالم بأسره لأنها ثورة إسلاميّة. وطالما يتعرّض معظم الناس في هذه الدنيا للقمع، سيستمرّ نضالنا (Khomeini, 1979:28) خاصّة إذ يتحمل مرشد الجمهوريّة الإسلاميّة، حسب تقدير الإيرانيين، مسؤولية قيادة العالم وتوجيهه نحو الكمال والازدهار وحماية أمن واستقلال البشرية. اتهم الإيرانيون الغرب باستغلال الناس وهدّدوا ثقافة إيران وجميع المسلمين للقرون.[٣] وقد صرّح الخميني بأن "الثورة الإيرانيّة ليست ملكًا لإيران على وجه الحصر ، لأن الإسلام ليس ملكًا حصريًا لمجموعة معيّنة ... الإسلام هو الوحي للبشريّة جمعاء، وليس لإيران وحدها".[٤] وبخصوص تصدير الثورة الإسلاميّة "كان أكثر أهميّة من الاستقرار السياسي والتنمية الاقتصاديّة".[٥]

تمشّياً مع كل هذه، "سعتْ إيران إلى تصدير ثورتها إلى البلدان المجاورة من خلال الخطابة والدعم المالي وغيرها من الأنشطة (على سبيل المثال تأثير إيران المتزايد في لبنان من خلال دعمها لحزب الله".[٦] ولكي تقوم إيران بتلك الأنشطة بفعاليّة وكفاءة، تبنّتْ سياسة خارجيّة ثلاثيّة الأبعاد تجاه جيرانها الخليجيين المحافظين سعْيا منها إلى تأكيد نفوذها عليهم. قدّمت الدعم للمعارضة السياسيّة للأغلبيّة الشيعيّة في العراق والبحرين والأقلّيات الشيعيّة في دول الخليج الأخرى في اليمن والسعوديّة بتزويد بعض الجماعات شبه العسكريّة في المنطقة بتجهيزات عسكريّة والمعلومات الاستخباريّة العسكريّة وقد هدّدت هذه الأنشطة الحكومة السُنيّة في المنطقة، وبالتالي تحوّلت علاقات العمل الحذرة التي

1. Takeyh, Ray. (2008). Iran's New Iraq. Middle East Institute: Middle East Journal, Vol. 62, No. 1, pp. 13 – 30

2. ولاية الفقيه هي نظام حكم يتم إدارته وفقا لأحكام الشريعة الإسلاميّة. ولتحقيق هذا الهدف، يجب على الفقيه الإسلامي الإشراف على الهيكل السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبلاد.

3. Mueller, Chelsi. (2016). Anglo – Iranian Treaty Negotiations: Reza Shah, Teymurtash and the British Government, 1927 – 32, Iranian Studies, p. 583

4. Khomeini, Ruhollah. (1979). Mafmu'e-ye Rahnemudha-ye Imam. Tehran: The Organization of the Islamic Republic's Cultural Documents, Vol. 2, p. 32

5. المرجع السابق

6. Rakel, Eva P. (2007). Iranian Foreign Policy since the Iranian Islamic Revolution: 1979 – 2006. Brill: Perspective on Global Development and Technology, p.165

كانت قائمة بينها وبين جيرانها العرب إلى شيء من التوتّر الشديد. ولذا، عندما حمى الوطيس فنادى صدام حسين الحكومات العربيّة الخليجيّة الصغيرة ذات التوجّه السني والتي كانت تشعُر بالتهديد من السياسة الإيرانيّة في المنطقة، لبتّ بسرعة فائقة. وقد كشف الفيتوري النقاب عن الموقف الإيراني في قصيدته "يأتي العاشقون إليك يا بغداد"

لم يتركوا لك ما تريد
خرجوا من الماضي الذي سكنوا خوائطه
إلى الماضي الجديد
وتداخل الغسقي والخزفي
واتسعت مساحات الجليد
ورأيت؟[١]

في هذه المقطوعة الشعريّة، يلفت الفيتوري انتباه صدام الحسين إلى أن الإيرانيين لن يتراجعوا عن رغبتهم للضم أراضيها المشروعة. لأنها قد تراجعت فجأة عن اتفاقيّة أبرمتها والتزمت بها منذ عقود مضتْ، وهو ما زاد الطين بلّة. ومع ذلك، كان الشاعر متفائلًا بأن إيران لن تحصل أبدًا على ما تسعى إليه مهما بذلت من الجهد.

وسرعان ما تفاجأ وتأثّر الفيتوري بالأرواح التي تزهق والممتلكات التي تُدمَّر من قبل الدولتين. لأن طبيعة الحرب تندرج ضمن ما وصفه دوجيرتي و فالتزجراف (Dougherty and Pfaltzgraff, 1971) بأنه "حالة تشترك فيها مجموعة محدّدة من البشر في معارضة واعية لجماعة أو أكثر من مجموعات بشريّة محدّدة أخرى، لأن الجماعات تسعى لتحقيق أهداف غير متوافقة أو هكذا يبدو".[٢] ومن جانبه، يعتبر لاو (Laue, 1992) هذا النوع من العلاقات المتوتّرة بين قوّتيْن إقليميّتيْن "منافسة طبيعيّة متصاعدة بين طرفين أو أكثر حول ... السلطة والهيبة".[٣] وأضاف إلى ذلك قائلا "إن الأطراف المتنازعة تعتقد أن لديها أهدافًا غير متوافقة، وهدفها هو تحييد أو كسب ميزة أو إصابة أو تدمير بعضهم البعض".[٤] ويوضّح لاو أن "الصراع ينطوي على أكثر من مجرد منافسة".[٥] من الواضح أن كل من إيران والعراق يهدفان إلى إعاقة

1. محمد، الفيتوري. "يأتي العاشقون إليك يا بغداد"، في ديوان: يأتي العاشقون إليك. ١٩٩٢. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق، ص ١٢٥.
2. Dougherty and Pfatzgraff, p.139
3. Laue, James. (1992). “The Emergence and Institutionalization of Third-Party Roles in Conflict”. In, Dennis J. D. Sandole & et al. (eds.) Conflict Management and Problem Solving: Interpersonal to International Applications. New York: New York Press, p.17
4. المرجع نفسه
5. Laue, p.16

جهود الآخر وإلحاق الضرر أو تدمير الآخر لتحقيق أهدافهما بغض النظر عن الأهداف الحقيقيّة أو غير ذلك من هذه الأهداف. فاشتكي الفيتوري من ذلك قائلا:

لم أك مصغيا يوما لغير دمي القديم
دمي الأشدّ توهّجا في طقس هذا الكوكب الوحشي
لم أك مصغيا يوما لغير دمي
أقول أنا الذي لولا شموخك أنت يا بغداد
لولا وجهك العربي
لولا سيفك العربي يغسل بالضياء عيونهم
لم يتركوا لي ما أقول[١]

لفت انتباه الفيتوري القصف المستمر للمناطق السّكنيّة من قبل القوات الإيرانيّة وقتل العراقيين الأبرياء. فقد أعرب عن دهشته لإصرار إيران وتصميمها الشديد واستمرارها في إيقاع الدمار وإلحاق الضرر في المدنيّين العاديّين يوميًا. ويشرح الشاعر كيف أنه لم ير قط سفك الدماء في المنطقة على النحو الذي تفعله إيران. وعلى الرغم من عدوانهم المتهور، فشل الإيرانيّون في مصادرة الأراضي المتنازع عليها بسبب صمود القوات العراقيّة المعزّزة بالمجد الطبيعي للعرب.

لولا اقتحامات الذين مشوْا جبابرة
على قمم الجبال
لولا شهادة من تضرّج بالشهادة
أو تكفّن بالرمال
لولا صواريخ الحسين..... برقْن
ثم صعقْن من صادفْن[٢]

يواصل الفيتوري التعبير عن مشاعره الجيّاشة للقوات المسلحة العراقيّة ويُثني عليها لسرعتها في صد عدوان القوات الإيرانيّة. ووفقًا للشاعر، تم ذلك بنجاح لأن القوات المسلّحة العراقيّة واجهت العدو بشجاعة وسحقتْه في مخابئه في الجبال. علاوة على ذلك، فإن العديد من القوات العراقيّة دافعت عن أراضيها المشروعة وحمايتها بإرادة قويّة حتى

1. محمد الفيتوري. يأتي العاشقون إليك، ص ١٢٧
2. المرجع نفسه

أصبح بعضهم الشّهداء. وباختصار، فلولا تدخّل الجنود الشهداء المدعومين بصواريخ صدام حسين القويّة، لما تراجعتْ إيران.

وإذ احتدمت الحرب وحمى الوطيس كاد العراق إعلان عجزه بعدما "دمّرت إيران محطتين نفطيّتيْن بالقرب من الفاو، وفرضت حصارًا بحريًا، وأُغلقت بنجاح جميع منافذ العراقيّين إلى البحر".[1] ومع ذلك، فإن عزم وإرادة البحريّة العراقيّة في التصدّي لمثل هذا الهجوم ما أثلج صدر محمد الفيتوري:

ومضى يقاتل في الخليج
لولا انتصارات الذين سقوا تراب الفاو
لولا راية باسم العراق
ومجده العربي
خالدة النسيج
لم يتركوا لك ما تقول.[2]

صدم حجم الدمار الذي لحق بالمنشآت النفطيّة العراقيّة حول الفاو وما تلاه من احتلال للمنطقة الجمهور العربي. ويربط الفيتوري صد القوات العراقيّة الناجح للقوات الإيرانيّة وتحرير المنطقة من قِبل البحريّة العراقيّة إلى ما تحمله من موروث مجد عربي قديم وهو المجد العربي نفسه [العراقي] الذي "حرّر إيران مرّتيْن: أولاً، عندما دمّرت الجيوش العربيّة الإمبراطوريّة الفارسيّة الساسانيّة عام ٦٣٨ وجلبت الإسلام إلى الفرس، وثانياً : عندما ساعد العرب الحركة السريّة الإيرانيّة وزوّدوها بالأسلحة والمعدّات التي استخدمتها لٌلإطاحة بنظام الشاه".[3]

الحاجة إلى وقف إطلاق النار

على الرغم من دعم الفيتوري الثابت لصدام الحسين والقوّات العراقيّة، إلاّ أنه يتُوق إلى وقف الحرب المستمرة منذ ثماني سنوات بين بلديْن إسلاميّين متجاوريْن وبينهما الكثير من القواسم المشتركة. ومع الحزن الذي يعتريه جرّاء سفك الدماء المستمرّ، أعرب الفيتوري عن إحباطه وألّف قصيدة "ذات يوم" داعيا البلدين إلى وقف القصف:

كلهم يشعلون أصابعهم في الفضاء ... ويستدفؤون!

[1]. Rajaee, p.25

[2]. يأتي العاشقون إليك ص ١٢٩.

[3]. Abdulghani, Jasim. M. (1984). Iraq & Iran: The Years of Crisis. 1st Ed. Baltimore: John Hopkins University Press, p.183

كلهم ينحتون تماثيلهم في الضباب ... ولا يسأمون
كلهم ... فلماذا المجاعة، والدم، والصرخات
لماذا الحروب؟
لماذا الجنون؟
كلهم ذات يوم
تغيم سماوتهم
ثم لا يمطرون.[1]

في هذا المقطع الشعري، يتّهم الشاعر القسوة التي يهاجم بها البلدان بعضهما البعض، مُتسبّبين بجناية وحرق متعمّد. لقد حاول في تفكيره المعتاد كشف العقل الكامن وراء الوحشيّة والفاقة التي ميّزت الحرب. وبتعبير شديد لهجة، دعا الفيتوري البلدين إلى وقف المذبحة وشجّعهم على إقامة سلام دائم بينهما. للتأكيد بوضوح على إحباطه، استخدم الفيتوري جُمل قصيرة وبسيطة لا لبْس فيها مثل: "كلهم يشعلون أصابعهم في الفضاء"، "فلماذا المجاعة، والدم، والصرخات؟ "، "لماذا الجنون؟" لإفصاح عن وجهة نظره.

الخلاصة

كان الغرض من هذا المقال دراسة تحليلات الفيتوري للحرب الإيرانيّة العراقيّة في ديوانه الشعري: "يأتي العاشقون إليك". كشف التحليل المتعمق الذي أجريناه في الورقة عن فطنة شاعريّة الحرب بين إيران والعراق. وكما كان يفعل الحكّام العرب والنخب السياسيّة العربيّة والمثقّفون، أعلن الفيتوري دعمه الثابت لصدام حسين والقوّات المسلّحة العراقيّة. وأعلن الشاعر عن استيائه الشديد تجاه السياسة الإيرانيّة في منطقة الخليج. لذلك، انتقد الإيرانيّين وأدان سياساتهم ووصفها بأنها دولة مارقة. ومع ذلك، أدرك الشاعر أوجه التشابه في الدين والثقافة التي توحّد الشعبين ودعاهم إلى وقف إطلاق النار. وفي نهاية المطاف برز شيئان مهمّان في قصائد الفيتوري: السياسة العدوانيّة الإيرانيّة في منطقة الخليج العربي وحرب إيران والعراق.

ثانيا، إن دراسة التحليل الشعري للفيتوري تشير إلى أن أعماله تميّزت من بين الشعراء السودانيّين الذين ألّفوا الشعر الحديث. وإنها أكثر شعبيّة إذ تعاملت مع قضايا سياسيّة حساسّة عبر عالمين: منطقة الخليج وأفريقيا جنوب

[1]. محمد الفيتوري.(١٩٩٢). "ذات يوم": يأتي العاشقون إليك، ص ١٥٤

الصحراء الكبرى. لذلك، في حين ركّزت أعماله الأدبيّة حول العبوديّة والاستعمار والنضال من أجل الاستقلال في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، فإن قصائده حول السياسة في الخليج دارت حول حرب إيران – العراق.

في مجال السياسة في الخليج العربي، لطالما ارتبطت الرغبة في التوسّع والهيمنة السياسيّة بالعلاقة بين إيران والعراق تاركة السؤال الذي يطرح نفسه حول إمكانيّة وجود علاقة طبيعيّة بين القوّتين الإقليميّتيْن. قد يكون من المناسب الاعتراف بالعلاقات الدافئة والودّية التي كانت قائمة بين إيران والعراق قبل عام ١٩٧٩. ومع ذلك، توتّرت العلاقة جزئيًا بسبب الثورة الإسلاميّة عام ١٩٧٩ وبسبب السياسات الاستراتيجيّة الإيرانيّة في منطقة الخليج.

من الواضح، كدولة قويّة ذات تاريخ غني، اعتبرت إيران لعقود من الزمان نفسها فوق دول عربيّة أخرى في منطقة الخليج. علاوة على ذلك، وبصرف النظر عن الآثار الجانبيّة المصاحبة للثورة الإسلاميّة، عملت الحكومات الإيرانية المتعاقبة بوعي على تأكيد نفوذ الدولة الإيديولوجي الشيعيّ على دول الخليج العربيّة ذات الغالبيّة السُنيّة. هذه الأنشطة المهيمنة الإيرانيّة هي لعنة العلاقات المتوترة القائمة بينها وبين دول الخليج.

الشكر والتقدير

أتقدّم بجزيل الشكر للسيد شفيق عبد الله محمد، رئيس قسم الترجمة الكتابيّة والفوريّة بجامعة قطر، الذي قام طوعا بمراجعة ترجمتي للمصادر اللانكليزيّة إلى اللغة العربيّة وإجراء التصحيحات اللازمة.

المراجع في اللغة العربيّة

الفيتوري، محمد. (١٩٩٢). يأتي العاشقون إليك. الطبعة الأولى، القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع.

الفيتوري، محمد. (١٩٥٥). أغاني إفريقية. الطبعة الأولى، بيروت: دار العودة.

بن عيسى، بو حمالة. (٢٠٠٤). النزعة الزّنجيّة في الشعر السّوداني المعاصر: محمد الفيتوري نموذجا. الطبعة الأولى، الرباط: منشورات الكُتاب المغرب.

موسى، منيف. (١٩٨٥). محمد الفيتوري: شاعر الحس والوطنيّة والحب. الطبعة الأولى. بيروت: دار الفكر اللبناني.

المراجع في اللغة الإنكليزية

Abdulghani, Jasim. M. (1984). Iraq & Iran: The Years of Crisis. 1st Ed. Baltimore: John Hopkins University Press.

Bengio, Ofra. 1998. Saddam's Word: Political Discourse in Iraq. Oxford: Oxford University Press.

Bowra, Maurice C. (1966). Poetry and Politics: 1900-1960. Cambridge: Cambridge: Cambridge University Press.

Burton, John. (1989). On The Need for Conflict Prevention. In. Lynch's Lectures on Conflict Resolution. George Mason University Press.

Dahl, Robert. (1957). The Concept of Power. New Jersey: New Brunswick Publishers.

Dougherty, James. et al. (1971). Contending Theories of International Relations. New York: Harper Row.

Downs, Kevin. (2012). A Theoretical Analysis of the Saudi – Iranian Rivalry in Bahrain. *Journal of Politics & International Studies,* Vol. 8. pp. 203 – 237

Khomeini, Ruhollah. (1979). Mafmu'e-ye Rahnemudha-ye Imam. Tehran: The Organization of the Islamic Republic's Cultural Documents, Vol. 2. pp. 1- 42

Laue, James. (1992). "The Emergence and Institutionalization of Third-Party Roles in Conflict". In, Dennis J. D. Sandole & et al. (eds.) Conflict Management and Problem Solving: Interpersonal to International Applications. New York: New York Press.

Morgenthau, Thomas. (1960). Politics Among Nations. New York: Alfred Knopf.

Mueller, Chelsi. (2016). Anglo – Iranian Treaty Negotiations: Reza Shah, Teymurtash and the British Government, 1927 – 32, *Journal of Iranian Studies*, NO. 49, Vol.4. pp. 577 - 592

Nonneman, Gerd. 2004. The Gulf States and the Iran – Iraq War: Pattern, Shifts and Continuities. In, Lawrence Potter Gary Sick (Eds.) Iran, Iraq, and the Legacies of War. London: Palgrave McMillan, pp. 167 – 192.

Oladosu, Afiz A. (2008). Is It Because My Face Is Black? Leiden: *Journal of Arabic Literature*, Brill. Vol. 39 No. 2, pp. 184 - 215

Plischke, Elmer. (1988). Foreign Relation: Analysis of its Anatomy. New York: Green Wood Press.

Rajaee, Farhang. (1993). The Iran - Iraq War: The Politics of Aggression. Florida: University of Florida Press.

Rakel, Eva P. (2007). Iranian Foreign Policy since the Iranian Islamic Revolution: 1979 – 2006. Brill: Perspective on Global Development and Technology.

Rubin, Barry. 1989. The Gulf States and the Iran - Iraq War. In, Efraim Karsh (Ed.) The Iran – Iraq War: Impact and Implications. New York: St. Martin's Press, pp. 121 – 132.

Stephen, Leslie. (1961). Hobbes' Natural Man: A Study in Ideological Formation. Ann Arbor: University of Michigan Press.

Takeyh, Ray. (2008). Iran's New Iraq. Middle East Institute: *Middle East Journa*l, Vol. 62, No. 1, Routledge: Taylor & Francis Group.